دور النظم البنائية في الطبيعة في التوجه الفني لدى طالب الفن

أ.م.د. زينب علي إبراهيم السيد

أستاذ مساعد بقسم التصميمات الزخرفية

كلية التربية الفنية – جامعة حلوان

دور النظم البنائية في الطبيعة في التوجه الفني لدى طالب الفن

خلفية ومشكلة البحث :

يُعد القرن الواحد والعشرون بمثابة المثلث الذهبي لأحدث منظومة زمنية، فكرية وفنية شهدتها قرون العصر الحديث على وجه الإطلاق. حيث تميز بخصوصية منفردة ومتميزة جاءت كنتاج لتكاتف العديد من الجهود والطاقات المتحضرة على كافة المستويات التربوية والفنية، مما يتطلب إعداداً علمياً ومنهجياً خاصاً تستنير به الجامعات والهيئات والمؤسسات التعليمية في توجهاتها الفنية، سواء كان ذلك على مستوى القائمين على العملية التربوية والفنية من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة أو على المستوى الطلابي في كافة المجالات والتخصصات الفنية(ص٤٢٥-٧).

ولهذا فإنه من الملاحظ في الآونة الأخيرة أن هناك اهتماما متزايدا تجاه تطوير المناهج التربوية والفنية وطرق التدريس في كل فرع من فروع المعرفة والفن في جامعتنا، بما يتمشى مع التقدم العلمي التربوي والفني في عصر العولمة الغني بالعديد من التوجهات الفنية، وما يساير احتياجات المجتمع من عناصر بشرية وكوادر علمية ذات توجهات فنية مصرية خاصة لها القدرة على البناء الثقافي المنفرد والمتميز، وما يحققه ذلك من تنمية شاملة في مجالات المجتمع المختلفة التي تُعد التربية بشكل عام أحداها.

ولكن لا يمكن أن يتم ذلك التوجه الفني المُعد إعداداً تربوياً دون وجود علاقة وثيقة الصلة تشكل لغة حوار بين كل من :

- هدف ودور التربية بشكل عام.
- هدف ودور التربية الفنية بشكل خاص.
- هدف ودور المناهج الجامعية بمجالاتها وفروعها الفنية المتخصصة.
- هدف ودور القائمين على العملية التربوية من أعضاء هيئة التدريس.
- هدف ودور طلاب الفن تجاه تحقيق ذلك التوجه الفني منطلقاً من ميولهم وقدراتهم الفنية.

ومن هنا فإن الباحثة ترى أنه يجب أن يكون للتربية بشكل عام والتربية الفنيـــة بشكل خاص مداخل بناءة، لها سمات خلاقة وإبداعية في عالم أصبح فيه التغير والتطور غير قاصر على التقدم العلمي والتكنولوجي فقط، ولكنه أيضًا طريق للسلوك والتوجـــه الفني لطلاب الفن من الناحية الفكرية والوجدانية، لتزويدهم بالمعـــارف والممارســات المُعدة لتوجيههم تربويًا وفنيًا بشكل تتبلور فيه شخصياتهم المتميزة لحـــل العديـــد مـــن المشكلات الفـــنية.

ولذلك يقع على عاتق التربية الفنية ومنها قسم التصميمات الزخرفيـــة مســئولية إرساء أساليب ودعائم جديدة لبعض التوجهات الفنية المتعددة الأشكال من خلال المنـــاهج الدراسية المُعدة لهذا الغرض، والتي من شأنها إرضاء التنوع الفكـــري والثقـــافي بمـــا يتناسب مع متطلبات طالب الفن الوجدانية وإبراز شخصيات متمايزة تتســـم بـــالحضور الفني.

ويُعد مدخل النظم البنائية في الطبيعة هو أحد المداخل الفنية التي ترى الباحثـــة أنه يساعد على إنجاز وتأسيس قدرات فنية منفردة وموجهة لدى طالب الفن، باعتبـــاره أحد المداخل الأساسية الرائدة في مجال التصميمات الزخرفية، والذي من شـــأنه تعليـــم الإبداع والكشف عن العديد من العلاقات الجديدة للعناصر من خـــلال أســـس التصميـــم ونظريات التجـــريب.

ومن هذا المنطلق كانت مشكلة هذا البحث حيـــث، ينـــص منـــهج التصميمـــات الزخرفية للسنة الدراسية الأولى على دراسة النظم البنائية في الطبيعة من خلال بعـــض عناصر الكائنات الحية (نبات، حيوان، طيور، حشرات) بما تشمله مـــن ملامـــس ذات درجات لونية مختلفة، ولكن من خلال عمل الباحثة في هذا المجال لاحظت أن تدريـــس هذه العناصر في تلك السنة الدراسية يكون التركيز فيها علي الأسس التصميميه الفنيـــة الممثلة في (الإيقاع والاتزان و...الخ) أو بعـــض النظـــم البنائيـــة (كـــالنظم الشـــكلية والحركية... الخ) بصرف النظر عن التوجه الفني المنفرد، والتأكيد عليه لدى كل طالب من طلاب التصميم، بالشكل الذي يجعل منه شخصية فنيـــة مســـتقلة، يتلمـــس إرســـاء دعائمها منذ بداية طريقه الفني. وهذا من شأنه أنه في أغلب الأحيان يطمـــس التوجـــه

الفني لدى طالب التصميم أو يصعب التعرف عليه وسط كثير من المتشابهات، بسبب افتقاده لعديد من العوامل التي تُسهم في تلمسه لهذا التوجه الفني المتميز بين أفراد مجموعته.

ويمكن تلخيص مشكلة البحث في النقاط التالية :

- إن تدريس مادة التصميمات الزخرفية في كلية التربية الفنية في السنة الدراسية الأولى من قيم ملمسية وحركية وإيقاعية تستند إلى دراسة النظم البنائية في الطبيعة في اتجاه مغاير عن تنمية التوجه الفني لدى طالب الفن طبقًا لميوله واتجاهاته الفنية.
- لا يوجد تنظيم منطقي أو منظومة يمكن من خلالها تنمية هذا التوجه الفني كعلم له أبعاده النظرية والعملية، وأثره في تكوين الهوية الفنية لدى طالب التصميمات الزخرفية حيث يساعد على تنمية عمليات الإبداع الذهنية المتميزة.

ولذلك ترى الباحثة ضرورة تناول تلك المشكلة بالدراسة والتحليل من خلال استعراض عدد من العوامل المترابطة فيما بينها والتي تسهم بصورة إجمالية في إيجاد توجهات فنية مستحدثة. وهذا ما ستتناوله الباحثة في أثناء دراسة هذا البحث.

أهمية البحث :

بالرغم من الأهمية الكبرى التي تحظى بها النظم البنائية في الطبيعة كدراسة لأسس التصميم في مناهج تدريس مادة التصميمات الزخرفية بكلية التربية الفنية، فإن تدريس هذا المجال يُقدم بشكل علمي يهتم بالأسس والقيم والعناصر الفنية بناء على ما يقدمه أعضاء هيئة التدريس القائمين على العملية التعليمية من خلال معارفهم ودراساتهم وممارستهم وخبراتهم .

تتضح أهمية هذا البحث من خلال الدور الذي تقوم به النظم البنائية في الطبيعة وتأكيد بعض التوجهات الفنية التي من شأنها أن تسهم في حل مشكلة انحصار وتشابه وتكرار بعض الأنماط والأساليب الفنية لدى طالب الفن، كما يساعد هذا البحث المتخصصين على تحقيق وأداء الجانب التعليمي والفني في شكل واع ومتكامل يركز بصورة خاصة على شخصية الطالب الفنية في داخل عمله الفني.

هدف البحث :

تأكيد الدور الذي تقوم به النظم البنائية في الطبيعة في تنمية التوجه الفني المتميز والمنفرد لدى طالب الفن في قسم التصميمات الزخرفية بكلية التربية الفنية.

فرض البحث :

للنظم البنائية في الطبيعة دور في تنمية التوجه الفني لدى طالب الفن الذي يدرس محتوي منهج التصميمات الزخرفية بكلية التربية الفنية.

حدود البحث :

- اقتصرت تجربة البحث على طلبة السنة الدراسية الأولى في محتوي التصميمات الزخرفية بكلية التربية الفنية.
- اقتصرت التجربة على استخدام اللونين الأبيض والأسود وبرجاتهما المختلفة.
- اقتصرت تجربة البحث على التصميمات الفنية في مساحة ٢٠سم × ٢٠سم و٤٠سم × ٦٠سم.

الخامات والأدوات :

ورق كانسون أبيض – حبر رابيدو – أقلام رابيدو

التربية والتوجه الفني لطالب الفن :

تعتبر التربية عملية ضرورية لأنها تهتم بمجال النمو الإنساني الشامل. وهي العملية التي بواسطتها يُعدل الطالب من نفسه ليصبح متوافقًا مع مجتمعه وفكره الذاتي. فالتربية تحتمل في داخلها العديد من المعاني منها :

- عملية التغيير والتقويم التي تحدث في طالب الفن.
- التربية باعتبارها تعليما لطالب الفن.
- التربية باعتبارها الجهود الواعية من المؤسسات الجامعية الفنية لتوجيه طلاب الفن، حتى يصبحوا قادرين على حياة لها فاعلية ثقافية وفنية تحقق الانسجام الذاتي لطالب الفن(ص١٢-٧).

يقول «جون ديوي» في هذا «إنه إذا رجعنا في الأصل إلى الأصل اللغوي لكلمة التربية Education نجد أن معناها عملية القيادة والتنشئة، وعملية صياغة وتكوين فاعلية الأفراد، ثم صب لها في قوالب معينة، أي تحويلها إلى عمل اجتماعي مقبول لدى الجماعة»(ص٣-٣).

وتضيف «ميريام بن بيريتز Miriam Ben-Peretz» إلى «ديوي» ما ذكرته عن «جاكسون Jackson ١٩٨٦» من أن هناك خيطًا مشتركًا بين المداخل المختلفة للعملية التدريسية كعملية تربوية، وأن هذا الخيط المشترك يهتم بفاعلية التدريس التحويلي كمحاولة لتغيير التوجه الطلابي بشكل تربوي إيجابي يحدث تغييرا في المجتمع الأكبر الذي يعيشون فيه.

كما ذكرت أن «جاكسون» قد فرق بين تقليد المحاكاة والتقليد التحويلي في عملية التوجه التدريسية على المستوى الجامعي، حيث يركز تقليد المحاكاة على نقل معرفة الحقائق والإجراءات العملية من شخص إلى شخص آخر. في حين يبحث التقليد التحويلي في إحداث تغييرات لدى الطالب من حيث اتجاهاته وشخصيته(ص٧-١٥).

ومن هنا ترى الباحثة إنه إذا كانت العملية التعليمية بشكل عام يمكن النظر إليها كعملية تحويلية، فإن العملية التعليمية الفنية والتربوية التي تتم في إطار منهج التصميمات الزخرفية من خلال دراسة النظم البنائية في الطبيعة تسهم في إحداث نتائج غير محدودة الأثر في القيم الفنية لدى طالب التصميم واتجاهاته نحو المجتمع ومشاركته الفعلية تجاهه مستقبلاً. أي أن هناك علاقة ديناميكية بين الرؤى الجديدة للتدريس لمنهج التصميمات الزخرفية وهذا الأثر التحويلي الفني في الأعمال التصميمية لطلاب الفن.

ومن خلال تلك المفاهيم السابقة للتربية ذكر «بروور» أن هناك علاقة وثيقة الصلة بين التربية والتوجيه، يمكن التنويه عنها في بعض نقاط التشابه وبعض نقاط الاختلاف والتي يمكن تناولها فيما يلي:

أولاً : نقاط الاختلاف :

- إن كل التوجيه تربية ولكن بعض الجوانب التربية ليست توجيها.

- أن أهدافهما واحدة وهي تنمية قدرات واتجاهات الطالب، ولكن الطـــرق التـــي تستخدم في كل منهما قد تختلف عن بعضها البعض(ص٧، ٢٢-٧).

ثانيًا : نقاط التشـــابه :

- إن كليهما يهتم بحاجات أفراد المجتمع التي يُعد طلاب الفن والتربية الفنية أحـــد الشرائح الممثلة لها.
- إن التوجيه جزء مكمل للتربية وهو لا يحقـــق الاختيـــارات للطـــلاب، ولكنـــه يساعدهم في الاختيار عن طريق تحفيز قدراتهم على اتخاذ توجهات فنيـــة دون المساعدة من الآخرين(ص١٩-٧).

ومن هنا ترى الباحثة أهمية استعراض وتفهم ماهية التوجيه الفني بشـــكل عـــام حيث أنه لا يوجد توجه فني دون توجيه علمي مدروس يسهم في بنائـــه ويـــؤدي إليـــه ويؤثر بصورة فعالة على الطلاب الذين يدرسون منهج التصميمات الزخرفيـــة بكليـــة التربية الفنية، وهذا ما تشير إليه الباحثة فيما يلي:

التوجيه الفني :

- إن التوجيه الفني هو ذلك الجزء من الجهد التربوي الذي يهتم ويهدف أساسًـــا إلـــى تقييم المساعدة الفكرية والفنية لطلاب الفن، واكتشاف حاجاتـــهم وقدراتـــهم الفنيـــة وتقويم إمكانياتهم مما يسهم في اتخاذ مداخل وتوجهات فنية ذاتية حتى يتمكن هـــؤلاء الطلاب من اختيار أفضل وأنسب توجه يلائم الفكر الفني لكل منـــهم، بـــل وينمـــي قدرات طالب الفن على حل المشكلات الفنية دون مساعدة بمـــا يحقـــق الأهـــداف التربوية والفنية المناسبة لطبيعة العصر.
- إن التوجيه الفني يرتبط بمصطلح المساعدة ولكن ليس بمفهومها الآلي، وذلك لأنـــه بالرغم من أنه يسهم في نمو طالب الفن وقد يؤثر في اختيـــاره إلا أنـــه لا يُعـــد توجيهًا لأنه يهمل تمامًا الدور الهام الذي يجب أن يقـــوم بـــه الطـــالب فـــي هـــذه العملية(ص٢٠-٧).
- إن التوجيه له دور بين العديد من الاختيارات وحيث تكون هناك الحاجة إلى اتخـــاذ توجهات فعالة، ولهذا فهو أحد الدعائم الأساسية لنجاح عملية التعليم(ص١٦٩-١).

- إن التوجيه والتوجه الفني كقدرة على الاختيار ليس قدرة فطرية فحسب، ولكن شأنها شأن بقية القدرات في حاجة إلى تنمية. ومن هنا كان التوجيه فـــن يتطلـــب خـــبرة عريضة وحكمة عميقة من جانب الكليات الفنية عامةً والتربية الفنية خاصـــةً ومـــن جانب أعضاء هيئة التدريس القائمين عليه والذي يقومون به(ص٧، ١٢-٧).
- اتفق المختصون على وجود تصورين أساسيين ميزا التوجيه الفني وهما :
  - المنحنى التشخيصي Diagnostic
  - المنحنى التربـــوي Educative
- التوجيه في المنحنى التشخيصي يهدف إلى تحديد استعدادات وقدرات طلاب الفن من جهة ومتطلبات العمل من جهة أخرى.
- التوجيه في المنحنى التربوي يهدف إلى مساعدة طالب الفن على توضيح اهتماماتـــه واتخاذه بنفسه التوجهات الخاصة به، وبمعنى آخر تحضير الطالب إلى إيجاد طريقه الفني بنفسه(ص١٦٩، ١٧٠-١).

ومن خلال المفاهيم السابقة للتوجيه الفني ترى الباحثة أنه ارتبط في مضمونـــه ومحتواه بمفهوم التربية والتربية الفنية، وهذا هو ما ستتناوله فيما يلي:

التربية الفنية والتوجيه الفني :

إذا كان من أهم الأهداف التربوية بصورة عامة :

- تشجيع الميول الفردية.

فإن من أهم أهداف التربية الفنية بصورة خاصة :

- تشجيع التوجهات الفنية الذاتية والمنفردة من خلال خبرات الفن.
- إعطاء فرصة للطلاب لتنمية هذه التوجهات.

وهذا من خلال تعرف طالب الفن على حقيقة التربية عن طريـــق الفـــن، ودور الفـــن والتربية الفنية تجاه المجتمع ككيان معرفي ونشاط تطوري هدفه تـــهذيب الـــذات مـــن الناحية الجمالية وتزويده بالمعرفة الفنية الشاملة من خلال الخبرة البصرية الواعية.

ولذا ترى الباحثة أن من أهم الضروريات التي يجب أن تؤكد عليـــها التربيـــة

الفنية هـــــي:

- أن تعزز مجال الرؤية البصرية من خلال النظم البنائية الجمالية.
- أن توجه نظر طالب الفن لما يفجر طاقاته الفنية التي تتناسب مع قدراتـــه وميولـــه، دون أن تتركه في مفترق الطرق حتى تتيح له الصدف بعض الخبرات الجمالية التي يكتشفها ويكتسبها بطريقة عفوية.
- أن لا تنحاز إلى جانب دون الآخر في مجال التوجيه والإبداع الفني، بل على معلمي الفن من هيئات التدريس أن يطرحوا العديد من الأساليب الحســية والبصريـــة فـــي صورة دراسات أو أعمال فنية لعديد من الفنانين، لمزيد من الخبرات التـــي تتيـــح لطالب الفن أن ينتج ويتذوق في الاتجاه الذي يريده من خلال إرشاد بصري سليم هو من مسئولية معلم الفن في المقام الأول(ص٣١، ٣٢-٩).

وما سبق ذكره عن دور التربية الفنية تجاه التوجيه الفني من شأنه أن يضـــيء طريق التوجه الفني في المجالات المختلفة لدى طالب الفن، بل وينعكس عليه كســـلوك فني متحضر، وهذا ما تستوضحه الباحثة في الجزء التالي:

التوجيه الفني وعلاقته بسلوك طالب الفن :

عرَّف علماء النفس السلوك على أنه كل ما يصدر عن الفرد من نشـــاط ســـواء كان هذا النشاط إراديّـــا أو غـــير إرادى، صريحًـــا أو ضمنيًـــا، مرغوبًـــا أو غـــير مرغوب(ص١١٠-٤١).

ويؤكد هذا «محمود عنايت» في قوله «إن السلوك هو كل نشاط يقوم به الفـــرد ويتصل اتصالاً وظيفيًا بالتكوين العضوي لهذا الفرد الذي يُقوم السلوك من ناحية والبيئة التي يحدث فيها هذا السلوك من ناحية أخرى».

ولا شك أن الفرد والجماعة يتأثران إلى حد كبير بما يحيط بهما من نظام يحكـــم المفردات في الطبيعة والعلاقات بين كبيرها وصغيرها، المضيء منها والمعتم، كتلـــة أو فراغ. فالنظم البنائية في الطبيعة تشكل جزءا من المفردات في الطبيعة التي هي جـــزء من البيئة المحيطة التي تشكل وتصيغ طبيعة سلوك الفرد وفئة سلوك طالب القـــن(ص٢٣، ١٤-١٢).

ولهذا فإن سلوك طالب الفن يشكله ويحركه عدة عوامل ومؤثرات، بعضها قد يكون كامنا في الطالب نفسه وفي تكوينه العضوي، والبعض الآخر قد يتعرض له طالب الفن كمؤثرات خارجية في المحيط الذي يتعايش ويتجاوب معه كمجال البيئة الطبيعية ومن خلالهما يولد السلوك الفني الموجه لهذا الطالب(١١٠-١١).

إن منهج التصميمات الزخرفية هو أحد مجالات الأنشطة الخلاقة والإبداعية التي تسهم في تكوين وتنظيم القيم الفكرية والفنية التي لا تتأتى إلا بإدراك الجمال فيه وتفهم مقوماته، التي تخضع للنسب والأبعاد والعلاقات وتكشف عن العديد من الرؤى المتفردة من خلال التجريب والتوجه الفني(ص١١١-١١).

وسلوك طالب الفن كتوجه ثقافي وفني من الأمور التي تحتاج إلى منهج فكري حتى يمكن ملاحظتها وتفسيرها وإمكانية ضبطها وتوجيهها، خاصةً إذا ما وضعنا في الاعتبار أن هذا السلوك يحدث نتيجة بعض المثيرات الخارجية والداخلية التي تعتبر النظم البنائية في الطبيعة إحداها، بحيث تكون الاستجابات الناتجة متشابكة ومتراكبة وتشمل كل ما يصدر عن طالب الفن من تفكير وحس متمثل في المشاعر الوجدانية والانفعالية(٢٤-١٢).

لذلك ينبغي تربية وتوجيه الحس كسلوك فني بجانب تربية العقل منذ الصغر(ص٥٣١-١٠)، وليس هناك فائدة ترجى من رفع مستوى التذوق الفني عند النشء ما لم يرفع مستوى التذوق أولاً عند المصمم نفسه كطالب للفن بكافة الوجوه، وتوجيهه وتعليمه قواعد التصميم من خلال التربية الفنية السليمة الواعية والموجهة، وهذا يتوقف على دور طلاب الفن الإيجابي تجاه ذلك التوجه الفني، منطلقًا من ميولهم وقدراتهم الفنية، كما يتوقف على دور القائمين على العملية التربوية والفنية، وهذا لا يتم إلا من خلال عدة عوامل تُسهم في تكامل وفاعلية العملية التعليمية التي يمكن الإشارة إليها فيما يلي:

التوجه الفني وفاعلية العملية التعليمية :

- إذا قامت مناهج التربية الفنية ومنها منهج التصميمات الزخرفية بمجرد تحديد ما يجب أن يتعلمه طالب الفن وهو في حالة سلبية، ففي هذه الحالة لا يوجد التوجيه

بصورة متفتحة ومثمرة، وذلك لأن التدريس الفعال يتطلب أن يستجيب المتعلم كطالب الفن للمثير المرغوب فيه وأن يتقبل هذا المثير ويتفاعل ويتعايش معه بشكل إيجابي وألا يكون دوره سلبيًا فقط، والأهم من ذلك أن تحقق له هذه المثيرات أيضًا توجهًا فكريًا وفنيًا يمثل بالنسبة له رضا ذاتيا خاصا به(ص١٦، ١٩-٧).

- التعليم الفني الجامعي عادةً يشمل سلوكيات عديدة متنوعة ومتداخلة. وهو ليس تلك الممارسة الفنية التي تتم داخل قاعات المحاضرات فقط، بل يتعداها إلى أبعد من ذلك. فالتعليم الفني من الموضوعات ذات الطابع الحساس لأنه يمس تشكيل الشخصية والأسلوب الفني لطالب الفن(ص١٧١-٥).

ولذلك فقد تم تعريف التدريس الجامعي الفعال على أنه العلاقة بين الأنشطة التعليمية التي يقوم بها الأساتذة الجامعيون من خلال العمليات التدريسية، والتغير التعليمي الحاصل الذي يظهر على سلوك الطلبة وتوجهاتهم كمظهر لنتاج هذا التدريس(P. 136, 4).

ومن هنا فإن الباحثة ترى أن السلوكيات الفنية والتربوية لأعضاء هيئة التدريس في قسم التصميمات الزخرفية يمكن اعتبارها أحد الحدود المتقدمة للعملية التعليمية، وذلك باعتبارها موجهًا ومحركًا رئيسيًا، ونقطة مباشرة لبناء العلاقة التربوية بينهم وبين طلاب الفن، بل ويمكن اعتبارها ذات أثر قوي في تطوير وإحداث التغيير في طلبة الفن بالقسم.

ومن هنا فإن عمليات التخطيط الفني الجيد والتوجهات الحسنة والسوية لعضو هيئة التدريس لا تكون ذات جدوى كمؤشر على فاعلية العمليات التربوية والفنية، إلا إذا تم ترجمتها إلى سلوكيات فنية فاعلة يمكن أن تحدث تغييرًا هادفًا لدى التوجهات الفنية للطلاب الذين يدرسون التصميمات الزخرفية.

ولذا فإن عضو هيئة التدريس الفعال هو الذي يحاول باستمرار أن يساعد طلاب الفن في اكتشاف الطرق المناسبة للتوجه الفني، فإذا اختار الطريقة بنفسه فإن هناك تدريس أو تربية دون توجيه لأنها تسير في اتجاه مغاير للدور الذي يجب أن يقوم به طالب الفن في هذه العملية، أما إذا ساعد الطلاب على اختيار الطريق فإن هناك توجيهًا.

وهناك جوانب كثيرة تؤدي إلى تشكيل التوجهات الفنية لدى طالب الفن خـــلال عمليات التجريب للتصميمات الزخرفية، ومن بين هذه الجوانب التي يكشـف التصميـم الفني عن مدى تطورها والإسهام في إثرائها ما يلي:

الجـــانب الحسي :

تُعد الحواس الوسيلة الأساسية لتلقي العديد من النظم البنائية والظواهر المحيطـة في الطبيعة كمثيرات وترجمتها إلى مفاهيم يتم تسجيلها في صـــورة تصميمـات فنيـة تستخدم في العديد من الأغراض.

ولذا ترى الباحثة أن طالب الفن كمصمم يستقبل في أثناء دراسته للنظم البنائيـة في الطبيعة العديد من المثيرات البصرية، التي هي ركيزة أساسية في تنميـة وتوجيـه إحساسه الفني كطالب وممارس للفن، وتعريفه بدوره ودور المثيرات من حوله.

من الضروري أن يتوفر لكل طالب قدر مناسب من الإثارة الحسية التي تنمـي العمليات العقلية، لأن الإدراك قد يتدهور عند انعدام التنوع في الإثارة الحســية. وقـد أكدت العديد من التجارب أن الممارسة والخبرة والثقافة الفنية تـؤدي إلـى الارتفـاع بالحواس لمستوى أفضل ثم توجيهها توجهًا فنيًا. كما أن الحواس تؤدي دورًا أكثر أهمية لطالب الفن من مجرد نقل التفاصيل، فهي حافز ومؤثر على العمليـة التعليميـة فـي التصميم الفني. فهناك ارتباط بين ممارسة وتنمية الحواس والتوجه الفني لطالب الفن.

ومثيرات الحواس كالبصر بمفرده، أو اللمس بمفرده... الخ ليست ذات قيمة فـي حد ذاتها، ولكن قيمتها الحقيقية تظهر في تجمعها مع بعضها وتنميتها بصورة متكاملـة وموجهة لعديد من الأيدلوجيات الفنية والتصميمية المبتكرة(ص٢٥، ٣٢-١٢).

الجـــانب الإدراكي :

يرتبط الإحساس بالإدراك ارتباط وثيق الصلة. فالإدراك هو العمليات التي يقـوم بها طالب الفن عندما يحس، حتى ينظم المتكون لديه من احساسات خاصة بالنظم البنائية في الطبيعة في صيغة كلية لها معناها الخاص بها، ولها صلتها بغيرها.

فالعلاقات بين النظم البنائية في الطبيعة تعمل إلى حد كبير في توجيه نظر طالب الفن إلى مثير معين دون الآخر، وهذه العلاقات لا تخرج عن كونها درجات من التشابه

والتقارب والتناسب والتجانس والتناظر.

وقد أكد علماء النفس المنتمين إلى مدرسة الجشتالت على أهمية هذه العلاقة في عملية الانتقاء والإدراك البصري، وهي مفاهيم تصميميه من حيث الشكل وبنائيته وتلك قد أدركها وقدمها العديد من الفنانين في أعمالهم قبل أن يقدمها علماء النفس ويضعون لها التفسيرات المناسبة، التي ساعدت فيما بعد على إدراك النظام، من حيث توزيع الألوان والإضاءة وعلاقتها بالأشكال والأحجام ومدى اقتران أي متغيرات أو تباينات لهذه العلاقات بالتأثير على تنمية الإدراك البصري(ص٢٦، ٢٧-١٢).

وترى الباحثة أن تنمية الإدراك البصري من خلال النظم البنائية في الطبيعة هي أحد المجالات الهامة لأنها ترتقي بالنمو الإبداعي، ولها دور فعال تجاه التوجيه الفني لدى طالب الفن. ومن هنا تتجلى أهمية التوجيه البصري للطالب دارس منهج التصميمات الزخرفية ودوره في تكوين الخبرة البصرية النابعة من تجاربه عبر تنويعات من الزوايا البنائية الجمالية في الطبيعة، حيث إن الطالب لا يمكن أن يكتسب القدرة على تذوق الجمال الفني أيًا كان نوعه إلا من خلال العين المدربة. والاستجابة في هذه الحالة هي عبارة عن خواص فنية مختارة من قِبَل طالب الفن للتوجه الفني الكلي الذي يحدث في أي لحظة، وهناك مجال خصب من المتغيرات الخاصة بالمثيرات في النظم البنائية للطبيعة وذلك فيما يختص بالإحساس والإدراك والتقدير الجمالي.

فمثيرات النظم البنائية في الطبيعة تختلف في الشدة والدوام، وإلى جانب المثيرات الأولية يوجد المثيرات المركبة، وإدراك المسافة والاتجاه والحجم والشكل يعتمد على قدرة الطالب في استخدام مجموعة المثيرات أو الربط بينها، ولا يتوقف مجال الإدراك عند هذه العمليات، فإن للرؤية قواعد تساعد على إدراك مرئياتها، خاصةً وأن الإدراك على علاقة وثيقة بالتعلم حتى اعتبره بعض الباحثين جزءا من عملية واحدة.

الجانب الحركي :

١ - يمارس فيه طالب الفن العديد من المستويات والمراحل الفنية التي تتدرج لتحقق مزيدًا من النمو الفني بدءًا من الملاحظة، فالتقليد، فالتجريب، فالممارسة،

فالإتقان، مما يؤدي إلى الإبداع عند طالب الفن من خلال الأنشطة والاتجاهات الفردية الموجهة ذات الوظائف المختلفة والتي يمكن استعراضها فيما يلي:

- القدرة على إيجاد حلول لبعض المشكلات الفنية المحددة.
- تنوع التصميمات الزخرفية من حيث الأفكار أو الأشكال أو الصور أو الهيئات أو المعاني المتميزة والفريدة.
- ثراء الأفكار والتكوينات والعلاقات التصميمية الملائمة في فترة زمنية محددة.
- استحداث وتنوع العلاقات بين العناصر مما يخرجها عن الإطار الشكلي المألوف لها في التصميم.
- الانسجام والتعايش بين المفردات أو الموضوعات أو الاتجاهات من حيث ملاءمتها مع بعضها البعض داخل العمل التصميمي.

٢ - توضيح بعض التوجهات الفنية المستحدثة من حيث الأشكال أو طرق البناء من خلال الاستكشاف والتجريب، لاكتساب الوعي والحس التصميمي المنفرد وبالتالي اكتساب الخبرة الفنية الموجهة.

٣ - تكوين التوجهات الفنية بما يتوافق مع ميول واتجاهات طالب الفن من خلال النظم البنائية للطبيعة وعناصر وأسس العملية التصميمية عن طريق تدريب الحواس على الاستخدام غير المحدود والاستمتاع بالقيم الجمالية والتشكيلية[٣٣-٦].

ولذا فإن التربية الفنية تهتم بتوجيه وتعزيز الجانب الحسي والإدراكي والحركي لدى طالب التصميم من خلال مشاهدة الطبيعة وتحليل عناصرها ونظمها البنائية المرئية من شكل، ولون، وخط، وفراغات، وملامس، وإيقاعات، وتأثير الضوء وزوايا الرؤية، والتوجيه المباشر ضمن جو فني غني بالتنوع في كل ما تراه العين من عناصر طبيعية بصرية وفنية[٣٢، ٣٤-٩].

النظم البنائية في الطبيعة والتوجه الفني :

تحيط البيئة الطبيعية بنظمها البنائية وخواصها الفنية بطالب الفن حيث تؤثر فيه وهو بدوره يتفاعل معها، فهي تتميز بثراء المتغيرات التي تولد لديه العديد من المنبهات والمثيرات.

وقد يكون المثير واحدا من حيث القوة والنوع والحدود والشكل، لكن لا يتساوى طالبان في الإحساس به. وفي هذه الحالة يقال أن التغيرات المحسوسة ارتبطت بتغيرات نفسية فردية تتحكم في الحس والإدراك لدى كليهما.

فالباحثة ترى أن الطالب الذي يدرس منهج التصميمات الزخرفية الذي يعيش في ظروف بيئية طبيعية مكانية وزمانية معينة يكاد أن يصبح بمرور الوقت جزءاً من هذا المكان، حيث يحدث هناك نوع من التأثير والتأثر يشارك في صياغة شخصيته الفنية، وتؤثر هذه الظروف أيضًا في طريقة تعبيره الفني من خلال توجهه الفني. فطالب التصميم ما هو إلا نتاج لتفاعل مكوناته الفكرية والوجدانية والثقافية مع البيئة الطبيعية بما فيها من نظم بنائية خاصة.

والنظم البنائية في الطبيعة تشكل جزءا من المفردات في الطبيعة التي تُكوِّن وتصيغ السلوك الفني لطالب التصميم وتوجهاته الفنية. وعلى ذلك تأتي أهمية العلاقة بين طالب التصميم وبين النظم البنائية في الطبيعة التي يعيش فيها. والتي هي على قدر من النظام والجمال والاتساق الذي يساعد على خلق طلاب فن ذوي ميول فنية طبيعية ونفسية سليمة تساعدهم على ممارسة أنشطتهم التصميمية على أكمل وجه(٢٣، ٢٨-١٢).

وتعتمد لغة الحوار في الطبيعة على العديد من النظم البنائية سواء أكانت تركيبية أم شكلية، والتي أقبل عليها الفنانون بتفهم واع وإدراك عميق، في محاولة منهم لتذوقها وكشف ما بها من قوانين جمالية وبنائية تمثل اللبنة الأساسية التي يقوم عليها الكون.

وإذا كانت النظم البنائية في الطبيعة تشكل جزءا من الأسس الفنية للتصميمات الزخرفية التي اهتمت بها مجالات الفنون التشكيلية، والتي تركت بصماتها في التوجهات الفنية لأعمال العديد من الفنانين الذين تناولوا الطبيعة من أمثال «مايكل أنجلو» الذي يذكر «أن الفنان الحقيقي هو الذي يبدأ بتحليل الطبيعة وعليها يستطيع أن يجد أصول الفن أمامه»(ص٣٨-٢).

فإنه يمكن استعراض بعض التوجهات الفنية المستوحاة من النظم البنائية في الطبيعة في أعمال بعض الفنانين كأمثلة موضحة فيما يلي:

- الفنان «سيزان» أرجع عناصر الطبيعة إلى صفاتها الهندسية الأولية، كالأسطوانة

والمخروط والكرة.

- الفنان «هنري مور» استنبط مفرداته التشكيلية من الطبيعة ليعبر بها عن المحتوى النفسي للإنسان(ص٢٤-١٣).
- الفنان «فازاريلي» استحدث أبجديته الفنية التي توصل إليها من القوانين الأساسية للهندسة الداخلية في الطبيعة.

فهذا الطابع الديناميكي الثري للنظم البنائية في الطبيعة يفصح عما بها من قوانين تماثل وتبادل وتوازن، تتطور من خلالها العديد من التصميمات الزخرفية التي هي أحد مجالات التخصص في التربية الفنية.

وهذا هو ما أكده "Porter, A. W." في قوله إن تلك النظم قد تأتي في صورة ظاهرية أو في صورة باطنية غير مرئية بالعين المجردة، لتعكس العديد من النظم الشكلية ذات العلاقات المتماثلة أو غير المتماثلة، ولكنها في كلتا الحالتين تشتمل على العديد من النظم البنائية التي تسهم في عدد من التوجهات الفنية(P. 12-5).

ومن هنا فقد قامت العديد من الدراسات والبحوث التي تناولت أهمية النظم البنائية في الطبيعة التي تذكر الباحثة من بينها :

- دراسة «جاتو Gatto» التي أوضح فيها أن التصميم يوجد في الطبيعة والبيئة التي أوجدها الإنسان، كما تناول بالعرض والدراسة عناصر هذا التصميم وأسسه من خلال التعرف على بنائية العناصر الطبيعية وركز على أهمية الوحدة أو المفردة والنموذج سواء في التصميم أو في الطبيعة التي تثري التنوع في السطوح والأشكال(3).
- دراسة «جمبريتش Gambrich. E, H» التي تناولت النظام في الطبيعة وإمكانية إدراك هذا النظام، كما أشار إلى الاختلاف بين الرؤية والنظر والانتباه والقراءة التي يعتمد عليها الفنان والطالب في تأمل الطبيعة(2).
- دراسة بفلين "Bevlin, M. E" وفيها يؤكد الباحث على أهمية التصميم في الطبيعة، وكيف تعمل العناصر والأسس في التصميم في مجالات الفن بشكل عام، مع توضيحه أن نظم العلاقات الشكلية تعطي متعة عندما تتنوع المفردة. وأن تداخل

النظم يمكن من خلاله استخلاص وحدات تشكيلية جديدة لا يمكن التنبؤ بها[1].

ولما كان منهج التصميمات الزخرفية للسنة الدراسية الأولى بكلية التربية الفنية ينص على دراسة النظم البنائية في الطبيعة، فإن الباحثة ترى أنه بالإضافة إلى دراسة تلك النظم وما تحتويه من ملامس وخطوط فإن طرح العديد من الأنماط والأساليب الفنية لعدد من الفنانين الذين تناولوا تلك النظم بمداخل مختلفة قد ساهمت في تكوين التوجه الفني المميز والخاص لكل منهم، وذلك لإفادة الطلاب الذين يدرسون منهج التصميمات الزخرفية في إثراء مخيلتهم الإبداعية والفنية، وتشكيل توجهات فنية مستحدثة، تحقق الفرادة لدى كل منهم. ولكي يتم ذلك فلابد من الربط بينه وبين عمليات الاستكشاف والتجريب التي يمارسها الطالب والتي يمكن تفسيرها فيما يلي:

التوجه الفني بين الاستكشاف والتجريب :

يبدأ طالب الفن عادةً في دراسته للنظم البنائية في الطبيعة بخبرة الاستكشاف من خلال الرؤية والإدراك ثم يمر أثناء التنفيذ بخبرة التجريب والتكوين التي تنتهي بخبرة الاستمتاع والتذوق.

وإذا كان الاستكشاف في الطرق والأساليب والاتجاهات والتقنيات هو أحد الأبعاد الهامة في عملية التصميم، فإن التجريب في النظم البنائية للطبيعة من وجهة نظر الباحثة يُعد هو أحد الوسائل الهامة للكشف عن الحقائق ولإرساء الأسلوب الإبداعي في الفن. فهو ضرورة فنية ملحة لتحقيق الأهداف، كما أنه ضرورة لإثراء التوجه الفني بمداخل مختلفة لفهم المعايير والنسب الجمالية المرتبطة بالفن والنظم التصميمية لتكوين الأنماط الابتكارية المتنوعة(ص٢٠-١٢).

أي أن التجريب في مجمله مدخل لإبداع أعمال تصميمية مستحدثة وتقنيات متعددة لتحقيق الأهداف المرجوة، فهو حوار يتجاذب كل من طالب التصميم ومادة العمل الفني طرفيه، وبدون هذا الحوار لا يتحقق التجريب ولا التوجه الفني(ص١٥-٤).

وعملية التجريب من خلال النظم البنائية في الطبيعة لابد وأن تكون لها خطوات موضوعية مثل:

- أن يكون الطالب قد حدد الحد الكافي اللازم من الثقافة المعرفية عن النظم البنائية للطبيعة.
- الاعتماد على الخطوات العلمية والفنية المنهجية في الدراسة من علاقة بين الجانب النظري المتمثل في المعرفة التي يتلقاها الطالب عن أسس التصميم والنظم البنائية في الطبيعة، ومدى ارتباطها بالجانب العملي المتمثل في مجموعة المهارات التي يكتسبها الطالب عن طريق التدريب على استخدام حواسه المختلفة باستعمال الأدوات والخامات وطرق توظيفها.

ومن خلال تلك الخطوات الموضوعية يمكن أن يحقق بعض التوجهات الفنية المستوحاة من النظم البنائية في الطبيعة، لتكون على المستوى اللازم والمطلوب ليصل إلى الوعي والحس التصميمي المنفرد الذي يرتبط بفهم وإدراك الشكل والتكوين والقيمة

التي يتلمسها في النظم البنائية في الطبيعة والقدرة على تناول أفكار فنية وتقديم حلـــول مرتبطة بهـــا(ص٧-٦).

وفي هذا البحث حاولت الباحثة أن تؤكـــد علـــى مبـــدأ خصوصيـــة الأســـلوب التصميمي المنفرد من خلال التوجه الفني لطالب الفن الـــذي يـــدرس محتـــوي منـــهج التصميمات الزخرفية في السنة الدراسية الأولى، وذلك بعد أن يمر طالب التصميم فـــي البداية بعدد كبير من الدراسات لعناصر مختلفة في الطبيعة، وما يرتبط بها من أســـس تصميم، حتى يجيد إتقان رسم النسب والنظم البنائية الخاصة بها وما فيها من ملامـــس وتفاصيل وظل ونور.

ولذلك فقد اجتهـــدت الباحثـــة في أثناء تجـــربة البحـــث فـــي وضـــع بعـــض المداخل التجريبية المتنوعة التي تسهم في بناء وتأكيد بعض التوجهات الفنية والتي مـــن بينها:

- الحس الفني الذي يمارسه طالب التصميم في عناصر العمل الفني سواء أكانت نقطة أو خطا أو مساحة والعلاقات فيما بينها.
- التعايش بين أكثر من عنصـــر من العناصر في الطبيعة بشكل متكامل ومنسجم على الرغم من الاستقلالية الخاصة بكل منها كسمة وطبيعة فنية وحسية.
- المفردات الكاملة المختارة من العناصر في الطبيعة أو أجزاء مقـــها ومـــن النظـــام البنائي لهـــا.
- التشابه والاختلاف بين عنصرين أو أكثر من العناصر في الطبيعة كمنطلق للعلاقات التصميمية للعمل الفني.
- جزئية تفصيلية واحدة فقط أو بعض الأجزاء التفصيلية كمنطلق بنـــائي تصميمـــي للعمل ككـــل.
- النظام البنائي والحركي لعنصر من العناصر في الطبيعـــة أو أكـــثر مـــن عنصـــر كمنطلق لعديد من الأعمال الفنية والنظم التصميمية.
- درجات الغامق والفاتح للون الأسود واتجاهاتها الحركية المتغيرة في التصميم.
- الضوء والظل، البارز والغائر، كأحد منطلقات العمل الفني التصميمي.

- مساحة العمل التصميمي ووضعه الرأسي أو الأفقي ومدى ملاءمة التصميم لهذا الوضع.

وفي النهاية ترى الباحثة من خلال العرض السابق أن مفهوم التوجه الفني لدى طالب الفن الذي يدرس منهج التصميمات الزخرفية لا يمكن أن يتم بصورة منفردة قائمة بذاتها أو بمعزل عن الكثير من العوامل والمفاهيم الهامة. فلا توجه دون توجيه، ولا توجيه دون تقويم وإعداد تربوي وفني على مستوى علمي وفني مستحدث ومُعد إعداداً منهجيًا سليما، مما يمكن من فتح العديد من المداخل المبتكرة والمتناغمة، مع مراعاة طواعية تلك المداخل للأنماط الفنية لطلاب الفن والممتزجة بشيء من الحريات الموجهة بما يتفق بميولهم واتجاهاتهم وشخصياتهم المنسجمة مع طبيعة العناصر والثقافة الفنية التي أثرت في إحساسهم وساهمت في تشكيل سلوكهم الفني.

أي أن هناك هيكلا فنيا تربويا عاما ومتكاملا لتلك المفاهيم والعوامل التي تشكل في مجملها آفاقا ابتكارية جديدة في أعمال الطلاب الذين يدرسون منهج التصميمات الزخرفية، حيث تتسم العلاقات فيما بينها بالخصوصية النابعة من التناغم المتنوع والثري .

ومن هذا المنطلق فإن الباحثة ترى أن للتوجه الفني لدى طالب الفن دورا بارزا يتصدر مسيرة العملية الفنية والتربوية على المستوى الجامعي.

ومن هنا كانت أهمية دور النظم البنائية في الطبيعة كطريق يمكن من خلاله تكوين منظومة عمل للتوجيه والتوجه الفني لدى طالب الفن الذي يدرس منهج التصميمات الزخرفية، لتكون بمثابة القائد الذي يُحفز ويُقوم ويدفع بالطالب إلى الإبداع الفني الموجه لتحقيق الفرادة.

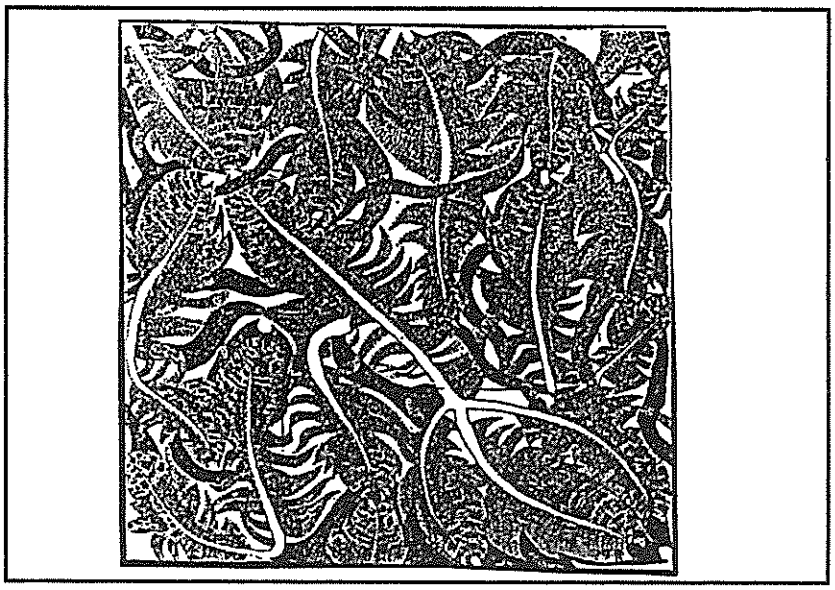

(أ)

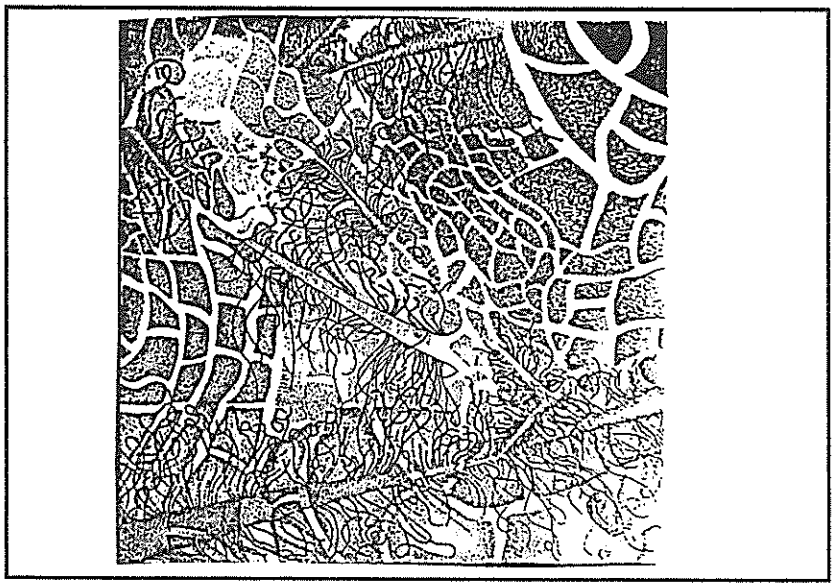

(ب)

(أ)

(ب)

(أ)

(ب)

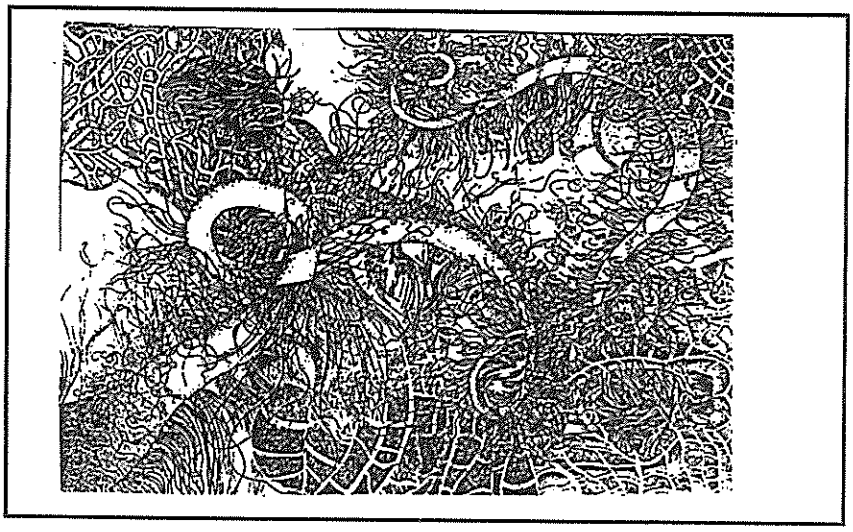

(ج)

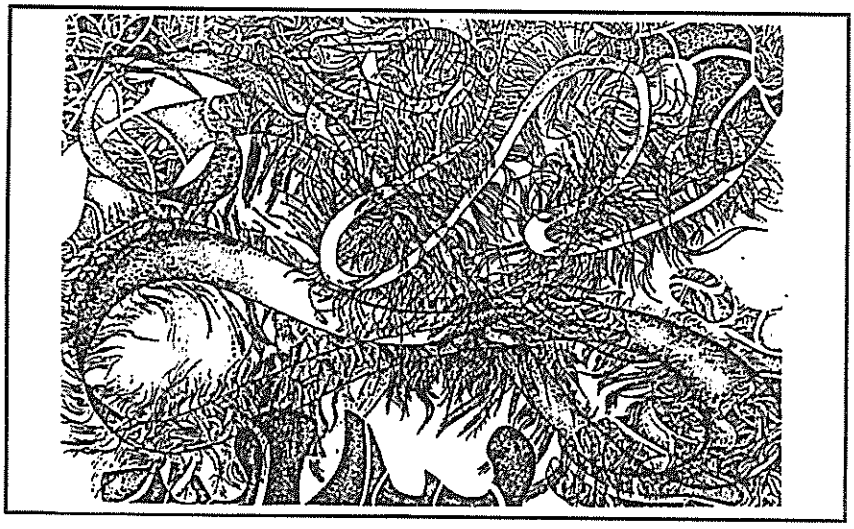

(د)

[شكل (٢)]

تابع التوجهات الفنية القائمة على النظم البنائية للطبيعة في التصميمات الزخرفية التي قام بها طلاب السنة الدراسية الأولى بالقسم في مساحة ٤٠سم × ٦٠سم في الاتجاه الرأسي.

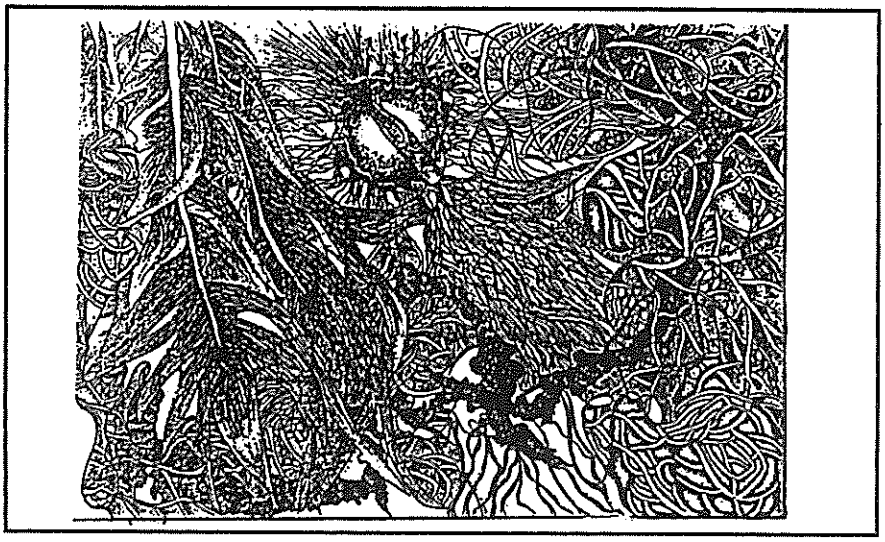

(أ)

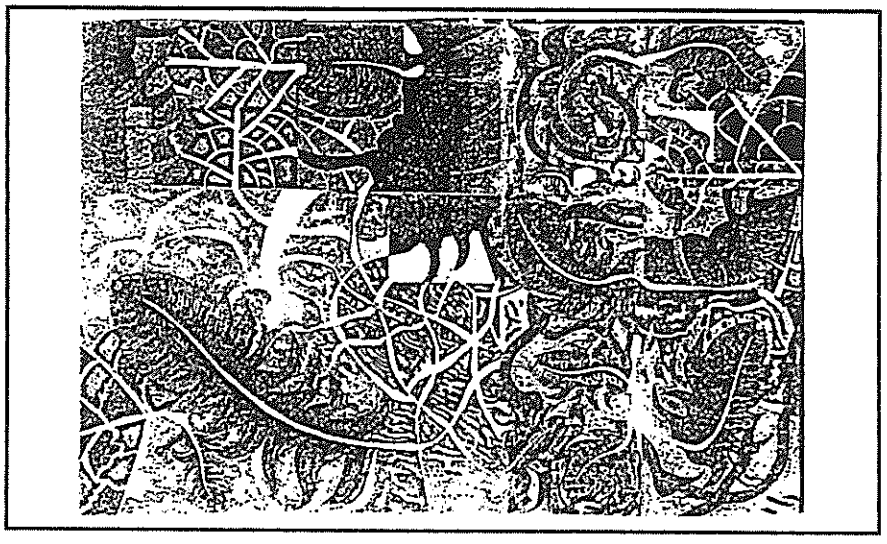

(ب)

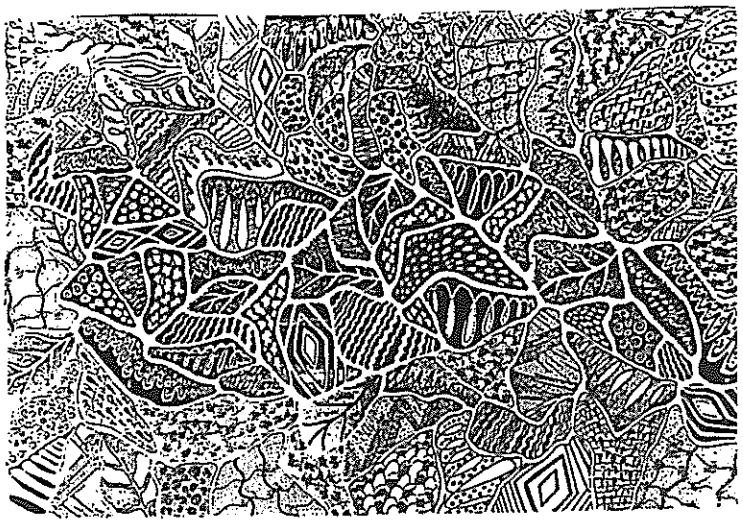

(جـ)

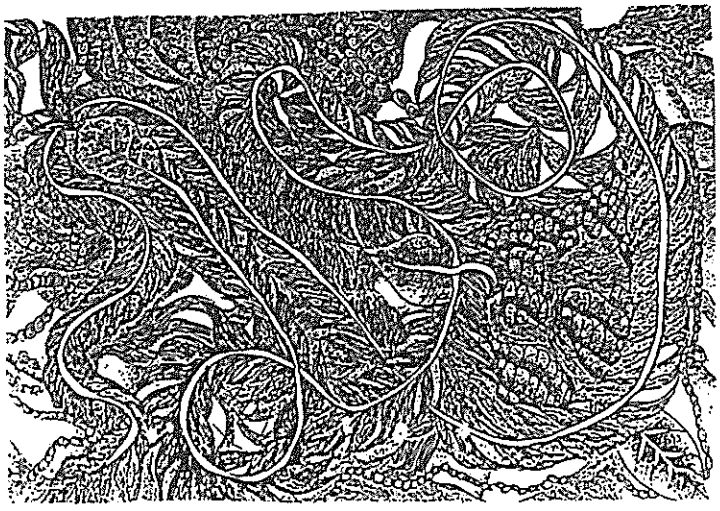

(د)

[شكل (٣)]

تابع التوجهات الفنية القائمة على النظم البنائية للطبيعة في التصميمات الزخرفية التي قام بها طلاب السنة الدراسية الأولى بالقسم في مساحة ٤٠سم × ٦٠سم في الاتجاه الرأسي.

المراجع العربيـــة

(١) بوســنه محمــود : التوجيــه المدرســي والمــهني، مجلــة العلــوم الإنســانية، عدد ١٠، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائـو.(١٩٩٨)

م

(٢) ج. برونوفسكي : ارتقاء الإنسان، المجلس الوطنـــي للثقافــة والفنــون والآداب، الكويت، العدد ٣٩.(١٩٨١) م

(٣) جديدي محمد: النزعة الاجتماعية في فلسفة جون ديوي التربوية، مجلـــة العلـوم الإنســانية، عــدد ١١، جامعــة منتــوري، قســنطينة، الجزائر.(١٩٩٩) م

(٤) سعيد الوتيري، سلوى غريـــب : أســس التصميــم، مطبعــة جامعــة حلــوان، القاهرة.(١٩٨٨) م

(٥) سلامة طناش : الأداء التعليمي الجامعي الفعال من وجهة نظــر أعضــاء هيئــة التدريس في الجامعـــات الأردنيــة الحكوميــة، أبحــاث اليرموك، مجلة فصلية، المجلد الخــامس عشــر، العــدد الرابع.(١٩٩٩)م

(٦) عبد العزيز أحمد جودة، محمد حافظ الخولي : منظومة تدريس أســس التصميــم، دراسات وبحوث، المجلد الثامن، العدد الثالث.(١٩٩٦)

(٧) فاروق سيد عبد السلام (١٨٠٤هـــ): في التوجيــه والإرشــاد الطلابــي، مكتبــة الطالب، العزيزية، مكة المكرمة.

(٨) فلاديمير ج. كيفيلي?: التربية والحضارة، مجلة مستقبليات، المجلـــد ٢٧، العــدد ٣.(١٩٩٧) م

(٩) كايد عمرو : الرؤية البصرية في مناهج التربية الفنية، دراسات وبحوث، المجلــد الأول، العدد الأول.(١٩٨٩)م

(١٠) مايكل كروزييـــه : فكــر تربــوي جديــد، مجلــة مســتقبليات، المجلــد ٢٨، العدد٤.(١٩٩٨) م

(١١) محمد متولي مرسي:أثر الخبرة الجمالية والفنية في توجيه السلوك لمستخدمي منتجات الأثاثات المعدنية،دراسات وبحوث،المجلد(١٩٩٨)م العاشر، العدد الثاني.

(١٢) محمود إسماعيل عنايت : عناصر ومفردات البيئة المحيطة وتأثيرها في تشكيل وصياغة سلوك الفرد وتزوعاته، دراسات وبحوث، المجلد الخامس، العدد الثاني.(١٩٩٣) م

(١٣) هدى أحمد زكي : «المنهج التجريبي في التصوير الحديث وما يتضمنه من أساليب ابتكارية وتربوية»، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، القاهرة.(١٩٧٩)م

(١٤) هنري مور : غايات النحات، مجلة المجلة، العدد ١١٥. (١٩٦٦) م

(١٥) سيريام بن بيريز: عندما يتغير نظام التدريب فهل يمكن أن يتوارى دور المعلم، مجلة مستقبليات، المجلد ٣٠، العدد ٢.(٢٠٠٠) م

المراجع الأجنبية

(1) Bevlin, M. E : Design Through Discovery. Holt, Rinehart and Winston, New York.(1970)

(2) Gambrich, E. H : The Sense of order Phaidon, New York.(1984)

(3) Gatto, J. A : Exploring Visual Design, Dvis achuseelts (1977)

(4) Smart. John, C. : Higher Education Handbook of Theory and Research, Vol. VII, New York. (1991)

(5) Porter, A. W : Principles of Design-Pattern, Worcester Mass achusetts, U.S.A.(1975)